رغبةٌ نبوية تتحقق

عن ابن عباس وعن عثمان بن محمد الأخنسي رضي الله عنهما ، وعن غيرهما ، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلىٰ المدينة صلّىٰ إلىٰ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يُحبّ أن يُصرف إلىٰ الكعبة ، فقال: «يا جبريل ، ودِدْتُ أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود».

فقال جبريل: إنما أنا عبدٌ فادْعُ ربّك وسَلْه ، وجعل إذا صلّىٰ إلىٰ بيت المقدس يرفع رأسه إلىٰ السماء ، فنزلت عليه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فوجَّهَ إلىٰ الكعبة إلىٰ الميزاب[1].

... وعنهما أيضاً: صلّىٰ رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أُمر أن يُوجَّه إلىٰ المسجد الحرام ، فاستدار إليه ودار معه المسلمون.

ويُقال: بل زار رسول الله ﷺ أمّ بشر ابن البراء بن معرور في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر فصلّىٰ رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يُوجّه إلىٰ الكعبة ، فاستدار إلىٰ الكعبة واستقبل الميزاب ، فسُمّي المسجد مسجد القبلتين[2].

---

(١) عيون الأثر ، ابن سيّد الناس: ١/ ٢٣٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ١/ ٢٤١.

أجل!

حبيب الله محمد ﷺ كره أن تكون قبلته وقبلة أمته هي ذاتها قبلة اليهود ، وعبّر عن حبّه ورغبته وأمله بأن تتحوّل القبلة من بيت المقدس إلىٰ البيت الحرام ببلده مكة المكرمة ، وشاء الله أن يُحقّق له ذلك.

كيف لا ، وهو ذو المكانة العالية ، بحيث إنه أفضل الخلق علىٰ الإطلاق ، وخاتم النبيين وإمامهم ، والشفيع المشفّع يوم الدّين؟!

وتحققت الأمنية تلك في منتصف شعبان ، وعند ذلك حدثت فتنة ، حيث أشاع البعض أن الذين ماتوا قبل تحويل القبلة لم يستفيدوا من صلاتهم شيئاً ، فأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وراح اليهود ومشركو مكة يُشيعون الإشاعات بين الناس ، ويشككون في مسألة تحويل القبلة ، قال الزهري: وصُرفت القبلة نحو المسجد الحرام ـ فذكر الحديث وفيه ـ قال: فأنشأت اليهود تقول: قد اشتاق الرجل إلىٰ بلده ، وبيت أبيه ، ومالهم حتىٰ تركوا قبلتهم يُصلّون مرة وجهاً ومرة وجهاً آخر[1].

وجاء الردّ الإلٰهي: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

يا سيّدي يا رسول الله معذرةً ... إذا كبا فيك تبياني وتعبيري
ماذا أوفّيكَ من حقٍّ وتكرمةٍ ... وأنت تعلو علىٰ ظنّي وتقديري
أقبلتَ كالفجر وضّاح الأسارير ... تدعو إلى الله في يُسرٍ وتبشيرِ
علىٰ جبينكَ نور الحق منبلجاً ... وفي يديكَ لواء العدل والنورِ

* * *

---

(١) دلائل النبوة ، البيهقي: ٢/ ٥٧٤.